أكثر من ثمانمائة طالب متعلم فضلاً عن الصغار، ومدرسة للطب تدرس العلوم كلها بالعربية؛ ولأساتذتها فضل كبير على ما وضع من المصطلحات العلمية فى لغة العرب. وفيها مدرسة للحقوق العربية. وفيها أنشئ أول مجمع علمى عربى صحيح. وفى الشام كثير من الآثار الباقية من القرون الخالية: كالقلعة والسور، والمدارس، والمارستانات، والمساجد القديمة، والربط والخانات، ولكل من ذلك حديث طويل وتاريخ حافل، ولكن الأدلاء الجاهلين لا يعرفونها ولا يدلون السياح عليها. وفيها مدافن كثيرين من أعلام الإسلام فى السياسة والعلم والأدب والتصوف. وفى مكتبتها الظاهرية نوادر المخطوطات، حتى أنها لتعد أغنى الخزائن الإسلامية بكتب الحديث. وفى المكتبات الخاصة مخطوطات فريدة. ودمشق ذاخرة بالعلماء فى كل فن وعلم

وليس للعروبة مثل دمشق موئلاً وملاذاً، وليس فى المسلمين مثل أهلها تمسكاً بالدين وإقامة لشعائره، فمساجدها معمئة أبداً؛ فيها كل شاب متأنق تراه قتحسبه من شراب مياه النايمس أو السين، وهو مسلم حقاً، مؤمن صدقاً، ناشئ فى طاعة الله؛ ومساجد بلاد العرب إن امتلأت فبالشيوخ والشيب!

والمنكرات فى دمشق مقموعة وأهلها الأذلاء. وللعلماء العقلاء المخلصين منزلة عند أهل دمشق ليس لأحد من أبناء الدنيا مثلها. والسفور فى نساء الشام قليل نادر، والاحتشام والستر عام شامل. وأهل الشام كلهم فى الرضا رقته وسيلانه، وفى الغضب شدته وطغيانه، بل ربما كان لهم من البركان فورانه وثورانه

* * *

وبعد فأى مزاياك يا دمشق أذكر، وإلى أى معاهدك أشتاق، وأيها أحن إلى حسنه وأهيم بجماله، وفيك الدين وأنت الدنيا، وعندك الجمال وعندك الجلال، وأنت ديار المجد وأنت ديار الوجد، جمعت عظمة الماضى وروعة الحاضر، وسيكون لك المستقبل... المستقبل لك يا دمشق، عشت وعاش بنوك والسلام عليك ممن غربته عنك وأنكرته، وأشقيته بالوفاء حين أسعدت بالغدر الغادرين

علي الطنطاوي

من دموع عذراء

العبير النائح

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنِّى أَرَاكِ كَزَهْرَةٍ فى الناب نائحةِ العَبِيرْ
مَذْعُورَةِ الأكمامِ بَيْنَ خُطَا السَّمائمِ والهجيرْ
عَذراء يَتْمَهَا الخَرِيفُ فلا ظِلالَ ولا غَدِيرْ
سَكَنَتْ كَطَيْفٍ مُعذَّبٍ وَهَفَتْ كَآهَةِ مُسْتَجِيرْ
وَدَنَا الظَّلامُ فَلَفَّهَا فى ثَوْبِ مَحْزُونٍ كَسِيرْ
فَكَأَنَّهَا فى لَيْلِهِ سِرٌّ يُغَلِّفُهُ الضَّمِيرْ
وَكَأَنَّهَا فى فَجْرِهِ حُلْمٌ يَطِيرُ وَلا يَطِيرْ...

يَا لَيْتَنِى كُنْتُ الظَّلالْ
أَوْ كُنْتُ يَنْبُوعَ التِّلالْ
لَسَكَبْتُ عُمْرِىَ فى الرِّمالْ
رُوحًا يُرَفْرِفُ كَالخَيَالْ

يَسْقِيكِ مِنْ شَفَةِ الرَّبِيعِ رَحِيقَ فِتْنَتِكِ النَّضِيرْ
وَيُحِيلُ مَهْدَكِ جَنَّةً لِلْحُبِّ وَالهَةَ الأَثِيرْ
أَنَا فى رُبَاهَا نَسْمَةٌ بِسِوَى ضِفَافِكِ لا تَسِيرْ!
أَنَا فى ثَرَاهَا جَدْوَلٌ لِصِبَاكِ رَفْرَاقٌ نَمِيرْ!
أَنَا فى شَذَاهَا نَفْحَةٌ عِطْرُ الخُلُودِ بها أَسِيرْ!
أَنَا فى سَمَاهَا كَوْكَبٌ فى بُرْجِهِ بِكِ يَسْتَنِيرْ!
أَنَا فى هَوَاهَا قُبْلَةٌ حَرَّى تُخَلِّدُهَا السَّعِيرْ
سَتَظَلُّ فى شَفَتَيْكِ لا تَرْوَى إلى اليَوْمِ الأَخِيرْ

محمود حسن إسماعيل